اعتراف اليهوديّ

تعريب بتصرُّف لرسالة الاب لويس لِنوار اليسوعي

بقلم حضرة الخوري مارون غصن مدرّس البيان في كليّة القديس يوسف

لمّا زار حضرة الجنرال غورو كليّة القديس يوسف في ٢٨ ت٢ استقبلهُ تلامذتها في ساحة الدار فتلا احدهم تقريظًا ذكر في اثنائهِ احد معلّمي الكليّة الاب لويس لِنوار الذي خدم في الحرب العمومية الاخيرة بين جيوش الجنرال بسالة وتفانٍ عجيبين فاستحقّ في ساحات قتال الارغون ان يعلّق الجنرال على صدره وسام جوقة الشرف. وبعد قليل سقط الاب المذكور في ميدان الوغى ضحيّة محبّته لوطنهِ وقيامًا بخدمة نفوس الجنود. فأثّر هذا التذكار في قلب حضرة الجنرال فأجاب بهذه الالفاظ السجديّة: «ما كنتُ لأنتظر ان تلمّحوا الى ذكرٍ من تذكارات الحرب حفظتهُ في قلبي محفوفًا باشدّ عواطف الحبّ والاسف. نعم اني لمّا استلمتُ قيادة جيش المستعمرات سنة ١٩١٥ وجدتُ فيهِ المرحوم استاذكم الاب لنوار وقد اقام معي وبالقرب مني زهاء خمسة اشهر وعرفتهُ حقّ المعرفة فانا اشهد لكم اني لم اجد جنديًا ابسل ولا افرنسيًا افضل من الاب لنوار»

وكان تأثّر الجنرال عند تلفُّظهِ بهذه الكلمات شديدًا فبكى كثيرون عند استماعهِ وصفّق الجميع تصفيقًا حادًّا لفاتلهِ الكريم

وللاب لنوار رسائل عديدة كان يكتبها لاخوتهِ الرهبان في ساعات الفراغ وهو في الخنادق. ومن جملتها الرسالة الآتية التي روى فيها خبرًا مفكّهًا وهو اعتراف جنديّ يهودي لاحد رفقتهِ قبل وفاتهِ في ساحات الحرب. فآثرتُ تلخيصهُ لقرّاء المشرق. قال الاب المذكور:

هذه رواية لطيفة لم يكن لي فيها دَوْر ولا شهدتُ تمثيلها لكنّي سمعت تفاصيلها من الضابط جان — وهو رجل ثبتة من اخلص اصدقائي واشدّهم حماسة. ومع كونهِ ضابطًا تحسبهُ لسخنتهِ ولين بَشرتهِ فتاةً خَفِرة لكنّهُ بعزمهِ ولطفهِ كان نال إكرام جنودهِ ووقارهم وهو يدعوهم بابنائهِ حتى الملتحين منهم يعدل فيهم وينصف المظلوم من الظالم

وكان من جملة «اولادهِ» جنديٌّ يدعى يوب او أيُّوب شابٌّ من اليهود المستقيمين تبدو على وجههِ آثار الذل والضراعة. ومن رآهُ ملتحفًا بكسائهِ الطويل الوسخ الازرق اللون الضارب الى الخضرة ظنّهُ احد اولياش «البوش» فما كان يظهر في حلقة الجند الّا علَت جلبتهم وكثرت قهقهتهم وتناوبتهُ سهام السنتهم ينبزونهُ بالالقاب المضحكة وذلك ليس خبثًا بل تفكُّهًا فيتذلّل المسكين امامهم حتى يسترحم ذوي الرحمة

وكان الضابط جان في مقدّمة المدافعين عنهُ . واذ كان أيوب رثّ الحالة فقيرًا فقيرًا من احد اسباط اسرائيل المدقعة لم يفكّر فيهِ احد من اهلهِ او عشيرتهِ ليرسل اليه بشيء من الألطاف لكنّ جان عريف الجند كان يأخذ على نفسهِ الاصطناع اليهِ وكان كلّما وصلتهُ هديّة من امّهِ شطرها فاعطى اكبر حصّة لحبيبهُ أيوب . فعمل ذلك في قلب أيوب وصار اتبع لجان من ظلّهِ منهُ لا يفارقهُ البتّة حتى كان جان يتضايق احيانًا من ملازمتهِ لهُ الّا ان حمايتهُ هذه لأيوب وتقسيمهُ معهُ حلويات امهِ احرزت لهُ فخرًا واعتبارًا حتّى صار يحبّهُ رغمًا عن سوء احوالهِ

قال الاب لنوار : وكان جان يأتيني حينًا بعد حين ويقصُّ عليَّ متبسّمًا نوادر صديقهِ أيوب فقلت لهُ يومًا : ما لك لا ترشدهُ وتسعى في هدايتهِ الى الدين ؟ فاستغرب جان ضاحكًا حتّى استلقى فقال : وكيف اسعى في هدايتهِ وهو لا يؤمن بإله ولا بشيطان . بل ليس هو يهوديًا باكثر منهُ مسيحيًا او تركيًا . فتراهُ اذا ما وقع بيننا حديث في الدين يضحك ويقهقه كالأبله . فثبت عندي يا ابتِ انهُ لا يستطيع ان يعتقد شيئًا اذ لا نفس لهُ

— ويحك كيف تزعم ذلك عن احد ابناء جنسك ؟

— لا تلمني يا ابتِ لكنّي اكرّر قولي انّ ايوب حيوان في صورة انسان لا نفس لهُ

*

مرّت عليَّ ايّام بعد هذا الحديث واذا بجان اتاني في احدى الليالي الاخيرة وقد بلغ منهُ التأثّر اقصاهُ فقلت لهُ : ما الامر ؟

فقال : كنتُ الليلة احرسُ ومعي ايوب وثلاثة من رجالي واذا بعسس العدوّ قد قرب الينا فرمينا منهم اثنين او ثلاثة . ففرّوا هاربين لكنّ واحدًا منهم اطلق بندقيّتهُ علينا فأصاب ايوب في بطنهِ فوقع صريعًا واخذ يزفر وينّ فكاد يعرّضنا لضربات العدوّ . فزجرتهُ ليسكت فازداد انينًا فأشرتُ الى اثنين من رجالي أن : تواريا . والى الثالث وهو مارسال ان : ائتني فساعدني انتقل أيوب الى خندقنا

ونحن سائرون واذا بالعدوّ احسّ بنا فأطلق رشّاشه علينا فما نجونا الّا بتزولنا في حفرة خدّدتها قنابل البوش فلطينا فيها ثلاثتنا

واذا بأيوب يجذبني بثوبي ليتزني منهُ فقال : بحياتك أعدني ما رأيك في جرحي أيعرّضني لخطر الموت ؟

قلت : ربّما نعم وربّما لا

قال وكم تظنّ انهُ بقي لي من الحياة ؟

قلت مازحاً لاكن روعهُ مع جهلي بما سيحلّ بهِ : ان لم يُصبك زُكام في الدماغ ستعيش ثلاثين سنة

فضمّني حينئذٍ الى صدره بشدّة وقال : بالله عليك دع المزح فاني اراني ماثتاً لكني لا اريد ان اموت هكذا . فهيّا واسمع اعترافي

فقلت لهُ : انت الآن تمزح ولاتَ حين مزاح . ألا تعلم اني لا احبُّ الاستخفاف بالدين . فاربأ بنفسك

قال : لالا يا جان استُ بمازح . قد فكّرتُ كثيرًا فثبت عندي انّك لم تغفرني بفضلك واحسانك حتّى الآن الّا لصحّة دينك فعلى هذا الدين أريد ان اموت فهيّا هيّا واسمع اعترافي

فرماني كلامهُ في دهش وحيرة . . . فلو رددتُ طلبهُ زدتُهُ وجماً وان سمعتُ اعترافهُ بخطاياه . . . لكنّي لستُ انا بكاهن . . . فوددتُ لو عرض عليَّ احد ان اقوم فاهجم على البوش واتزع من ايديهم الرّشاش الذي كانوا يطلقونهُ عليشا لفعلتُ لاتخلّص من لجاج اليهودي

وانا كذلك واذا بفكر خطر على بالي فقلتُ لأيوب : ألا تعلم انَّ الاعتراف لا ينفع دون العمودية

فاجاب للحال : إذن عمّدني

فقلتُ في نفسي : هذا اقدر عليه . اليس كذلك يا ابتي ؟ . . . فاخذتُ حفنة يدي من الماء الذي في حفرتنا والله اعلم اكان نظيفاً ام لا ونحن في ظلام دامس . ولكن لا بأس فان هذا الماء لعماد أيوب وشتّان بين النظافة وأيوب . . فعمّدتُهُ وانا لا اجهل صورة العماد لأني اتقنتُ قديماً التعليم المسيحي . أفما اصبتُ بفعلي هذا يا أبانا المرشد ؟

لكنَّ أيوب المسكين لم يكتفِ بالعماد فرجع يلحُّ عليَّ لاستماع اعترافهِ حتى

أيومني. ثمَّ قلتُ: لا بأس ان أتظاهر باستماع اعترافه لئلَّا اكدّره ثمَّ أطلع حضرتك على الامر. فقلتُ للمرسال وهو لا يستطيع ان يتحرَّك خوفاً من الرَّشاش: سدَّ أذنيك. ثمَّ اشرتُ الى أيوب بان يباشر الى اعترافه: فاندفع يطلعني على عُجَرِه وبُجَرِه واباح لي بكل مكنونات صدره وكانت السلسلة طويلة ولا عجب اذ كانت تلك الخطايا تُبهظهُ وتُقلق ضميرهُ فاراح قلبهُ باقراره عنها

فلمَّا انتهى لم ادرِ ما اقول لهُ وانَّما تلوتُ على رأسه الصلاة الربيَّة ثمَّ قلتُ لهُ أن: ثِقْ بالله فانهُ ارحم الراحمين

فحدِّث يا ابتِ عن فرح أيوب بعد اعترافهِ ولا حرج فانهُ قبَّل عارضيَّ واظنُّهُ كان باكياً. امَّا انا فاقرُّ لك اني ما كدتُ اضبط نفسي عن البكاء.

فتمهَّلنا قليلاً لنغالط الرَّشاش حتَّى امكنني انا ومارسال من الحبو والزحف ان نبلغ خندقنا ونحن نسحب وراءنا أيُّب فلمَّا وصلنا نظرنا اليهِ واذا بهِ جثَّة هامدة.. فكم حزنتُ عليهِ وانا لا ازال كئيباً كأني فقدتُ اخي!

ولكن دَعْني ابتِ اسألك قبل كلّ شيء. تلك الخطايا التي سمعتها ما اصنع بها؟ قلتُ: اياك ان تكشف سرَّها لبشر ايًّا كان...

مآثر البابا بندكتوس الخامس عشر الى الشرق

للاب يوسف منجان اليسوعيّ معلّم اللاهوت في كليَّة القديس يوسف

ليس من يجهل مآثر الاحبار الرومانيين الى الشرق. تلك خطَّة ألفوها منذ اوائل النصرانيَّة كما تشهد عليها اصدق التواريخ. ولا غرو فانهم بذلك يقومون بامر سيِّدهم الذي اودعهم رعاية الخراف الناطقة في الشرق كما في الغرب دون استثناء.

على انَّ هذه المآثر تاوح في البعض منهم اكثر من سواهم وقد اثبت الشرق شيئاً منها في عهد الحبرين الاعظمين السابقين لاون الثالث عشر وبيوس العاشر. ولم يَحِدْ عن هذه الخطَّة إمام الاحبار الحاليّ فانَّهُ من اخصّ الاصدقاء للشرقيين عموماً ومن اعطف الآباء نحو رؤساء وابناء الكنائس الشرقيَّة خصوصاً